

ترتيب الأولويات في الإسلام

الشيخ السيد طه أحمد

الحمد لله رب العالمين.. فضل بعض الأعمال علي بعض فقال تعالى: { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(19) } [التوبة].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو علي كل شيء قدير.. حذر من إهمال الأولويات وتوعد ذلك بالويل والهلاك فقال

تعالى { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(24) } [التوبة].

وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله (ﷺ) وضح منهج الإسلام في ترتيب الأولويات فبين قاعدة الأولويات وتقديم الأهم فالمهم فقال (ﷺ) لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى أهل اليمن فقال عليه الصلاة والسلام: { إنك ستأتي قوماً أهل

كتاب، فإذا جننهم فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب }

فالهم صل علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلي يوم الدين... أما بعد... فإيا أيها المؤمنون

إن الإسلام جاء منظماً لحياة البشر، مؤكداً على ضرورة الترتيب بين الأشياء بحسب أولويتها وأهميتها بالنسبة للفرد المسلم وللأمة المسلمة، قال تعالى { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ(55) } [الزمر].

وقال رسول الله (ﷺ) رداً على سؤال حول أي الجهاد أفضل؟ { فقال: كلمة حق عند سلطان جائر }. [سنن النسائي]

إن تنظيم حياة الإنسان أو لاها الإسلام أهمية كبرى، فبناء الإنسان مقدم على البنين، كما أن مقاصد الشريعة تحث على أولوية الحفاظ على الإنسان وهي: حفظ النفس والعقل، والدين، والعرض، والمال، لذا فترتيب الأولويات من أهم العوامل التي تعمل على حفاظ الإنسان.

ولكن عندما ننظر إلى حياتنا في جوانبها المختلفة مادية كانت أو معنوية، فكرية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها، نجد ميزان الأولويات فيها مختلاً كل الاختلال، فنجد في كل أقطارنا العربية والإسلامية مفارقات عجيبة ما يتعلق بالفن

والترفيه مُقدّم أبداً على ما يتعلق بالعلم والتعليم.
وفي الأنشطة الشبابية: نجد الاهتمام برياضة الأبدان مُقدّمًا على الاهتمام برياضة العقل، وكأن معنى رعاية الشباب رعاية الجانب الجسماني فيهم لا غير، فهل الإنسان بجسمه أو بعقله ونفسه؟

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح مما فيه خسران؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان!
لذلك كان حديثنا عن {ترتيب الأولويات في الإسلام} وذلك من خلال هذه العناصر الآتية:-

1- مفهوم الأولويات.

2- حاجة الأمة إلي معرفة ترتيب الأولويات.

3- ترتيب الأولويات حسب الأهمية.

4- التوازن في حياة المسلم.

5- أثر إهمال الأولويات.

6- الخاتمة .

العنصر الأول : مفهوم الأولويات:

الأولي بمعنى الأحق والأجدر والأقرب.. أو وضع كل شيء في مرتبته فلا يؤخر ما حقه التقديم، أو يقدم ما حقه التأخير، ولا يصغر الأمر الكبير ولا يكبر الأمر الصغير .

العنصر الثاني: حاجة الأمة إلي معرفة ترتيب الأولويات:

من المفاهيم المهمة في ديننا الحنيف هو فقه ترتيب الأولويات وأعني به: وضع كل شيء في مرتبته بالعدل، من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يُقدّم الأولى فالأولى، بناءً على معايير شرعية صحيحة يهدي إليها. (نور الوحي، ونور العقل : قال تعالى { نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ (35) } [النور] .

فلا يقدم غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل، أو الأفضل.

بل يقدم ما حقه التقديم، ويؤخّر ما حقه التأخير، ولا يُكَبِّرُ الصغير، ولا يُهَوِّنُ الخطير، بل يوضع كل شيء في موضعه بالقسطاس المستقيم، بلا طغيان ولا

إخسار، كما قال تعالى { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي

الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الزُّورْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ(9) } [الرحمن]

وأساس هذا: أن القيم والأحكام والأعمال والتكاليف متفاوتة في نظر الشرع تفاوتًا بليغًا، وليست كلها في رتبة واحدة، فمنها الكبير ومنها الصغير، ومنها الأصلي

ومنها الفرعي، ومنها الأركان ومنها المكملات، ومنها ما موضعه في الصلب، وما موضعه في الهامش، وفيها الأعلى والأدنى والفاضل والمفضول. وهذا واضح من النصوص نفسها، كما في قول الله تعالى: { **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (19) **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** (20) } [التوبة]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): { **الإيمان بضغ** وسبعون شعباً ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق } [أخرجه البخاري].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين كل الحرص على أن يعرفوا الأولى من الأعمال، ليتقربوا إلى الله تعالى به، ولهذا كثرت أسئلتهم عن أفضل العمل، وعن أحب الأعمال إلى الله تعالى، فعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: { **قال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: أن يُسَلِّمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يَسَلَّمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ. قال: فأَيُّ الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان. وما الإيمان؟ قال: توَمَّنَ بِاللَّهِ، وَمَلَأْنِكَتِهِ، وَكُتِبَ، وَرُسِّلَهُ، وَالْبَعَثَ بَعْدَ الْمَوْتِ. قال: فأَيُّ الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة. قال: فما الهجرة؟ قال: تَهَجَّرَ السُّوءَ. قال: فأَيُّ الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد. قال: وما الجهاد؟ قال: أَنْ تُقَاتِلَ الْكُفَّارَ إِذَا لَقَيْتَهُمْ. قال: فأَيُّ الجهاد أفضل؟ قال: مَنْ عَقَرَ جَوَادُهُ، وَأَهْرِيقَ دَمَهُ. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثُمَّ عَمَلَانِ هُمَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِهِمَا: حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ، أَوْ غُمْرَةٌ. }** [صحيح أخرجه من طرق ابن ماجه وأحمد واللفظ له]

ومن تتبع ما جاء في القرآن الكريم، ثم ما جاء في السنة المطهرة في هذا المجال، جواباً عن سؤال، أو بياناً لحقيقة، رأى أنها قد وضعت أمامنا جملة معايير لبيان الأفضل والأولى والأحب إلى الله تعالى من الأعمال والقيم والتكاليف، وبيان ما بينها من تفاوت كبير، وذكرت بعض الأحاديث نسبة من الأعمال الصالحة، مثل: { **صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد** (الفرد) **بسبع وعشرين درجة** }، وقوله (ﷺ) { **سبق درهم مائة ألف درهم** }، وقوله (ﷺ) { **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه** }، وقوله (ﷺ) { **إن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً** }.

وفي الجانب المقابل وضعت معايير لبيان الأعمال السيئة، كما بينت تفاوتها عند الله، من كباير وصغائر، وشبهات ومكروهات، وذكرت أحياناً بعض النسب بين بعضها وبعض، مثل قوله (ﷺ) { **درهم ربا يأكله الرجل، وهو يعلم، أشد عند الله**

من ستة وثلاثين زنية} ..

وحدّثت من أعمال اعتبرها شرًا من غيرها، وأسوأ مما سواها، مثل قوله (ﷺ):

{ شر ما في الرجل، شحّ هالع وجبنّ خالع } . وقوله (ﷺ) : { شر الناس الذي يسأل بالله، ثم لا يعطي } .

وقوله (ﷺ) { شرار أمتي: الثرثارون المتشدقون المتفهبون، وخيار أمتي: أحاسنهم

أخلاقًا } . وقوله (ﷺ) { أسرق الناس: الذي يسرق صلاته، لا يتم ركوعها ولا

سجودها، وأبخل الناس من بخل بالسلام }

كما بيّن القرآن الكريم أن الناس ليسوا متساوين في منازلهم، وإن كانوا متساوين

في إنسانيتهم بأصل الخلقة، وإنما هم متفاوتون بعلمهم وأعمالهم تفاوتًا بعيدًا.

يقول القرآن { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (13) } [الحجرات]

وقال تعالى { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (9) } [الزمر] .

وقال تعالى لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ

دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا

عَظِيمًا (95) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96) } [النساء]

وقال تعالى { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ

(20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ (22) }

[فاطر]

وقال تعالى { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ (32) } [فاطر] .

وهكذا نجد أن الناس يتفاوتون ويتفاضلون، كما تتفاوت الأعمال وتتفاضل، ولكن

تفاضلهم إنما هو بالعلم والعمل والتقوى والجهاد.

العنصر الثالث: ترتيب الأولويات حسب الأهمية :

1 - الاهتمام بالعقيدة أولاً قبل كل شيء :

ونعني بذلك تقديم ما يتصل بالإيمان بالله تعالى وتوحيده، والإيمان بملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر، وهي أركان الإيمان كما بينها القرآن الكريم، يقول تعالى :

{ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ (177) } [البقرة].

وقال تعالى { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ

الْمَصِيرُ (285) { [البقرة].

وقال تعالى { وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِيرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136) } [النساء].

وإنما لم تذكر الآيات الإيمان بالقدر ضمن أصول العقيدة، لأنه داخل في مضمون الإيمان بالله تعالى.

فالإيمان بالقدر إيمان بمقتضى الكمال الإلهي، وشمول علمه، وعموم إرادته، ونفوذ قدرته.

والعقيدة هي الأصل، والتشريع فرع عنه، والإيمان هو الأصل، والعمل فرع عنه.

فالإيمان الحق لا بد أن يثمر عملاً، وعلى قدر تمكن الإيمان ورسوخه تكون الأعمال، من فعل المأمور، أو اجتناب المحذور. والعلم الذي لم يؤسس على إيمان

صحيح لا وزن له عند الله، وهو كما صورته القرآن: { كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) } [النور].

لهذا كان الأمر الأحق بالتقديم والأولى بالعناية من غيره، هو تصحيح العقيدة، وتجريد التوحيد، ومطاردة الشرك والخرافة، وتعميق بذور الإيمان في القلوب، حتى توتي أكلها بإذن ربها، وحتى تغدو كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله" حقيقة في النفس، ونورا في الحياة، يبدد ظلمات الفكر، وظلمات السلوك.

يتضح ذلك جلياً في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "إن ما نزل منه

سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل

الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً ولو

نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً فإن حاجتنا إلى العقيدة فوق كل حاجة،

وضرورتنا إليها فوق كل ضرورة، لأنه لا سعادة للقلوب، ولا نعيم، ولا سرور إلا

بأن تعبد ربها وفاطرها تعالى.

ولقد أرسل الله رسله جميعاً بالدعوة إلى التوحيد قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ (36) } [النحل]

ويقرر الله سبحانه وتعالى أيضاً هذه الحقيقة ويؤكدها، ويكررها في قصة كل

رسول على وجه الانفراد { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا

لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ (23) } [المؤمنون]

وقال تعالى { وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ

(65) } [الأعراف]

وهي الكلمة نفسها التي تكررت على لسان صالح وشعيب وموسى وعيسى - عليهم

الصلاة والسلام ، حتى أصبحت قاعدة عامة : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) } [الأنبياء]
 فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو أول ما يدخل به المرء في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب.
 ولقد أمضى نبينا محمد (ﷺ) حياته في الدعوة إلى هذه العقيدة وجاهد أعدائه من أجلها قال (ﷺ) { **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله...}** [رواه الشيخان].

بل وأرسل رسله وأمرهم أن يبدؤوا بالدعوة إلى العقيدة قبل كل شيء كما في قصة معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن: { **قال إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله وحده، فإن هم أطاعوا لذلك...}** [أخرجه الشيخان]

إن الاهتمام بغرس العقيدة أولاً كان منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمصلحين من بعدهم ومن ذلك قوله تعالى عن نوح في دعوته لولده وتحذيره من مصاحبة أهل الضلال { **يَا بَنِيَّ اذْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42)** } [هود].
 وكذلك يقول تعالى عن إبراهيم حين وصى بها أبناءه { **وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132)** } [البقرة]

وفي أول وصايا لقمان لابنه تحذيره له من الشرك قال تعالى { **يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)** } [لقمان]

وهذا نبينا محمد (ﷺ) وصي ابن عباس رضي الله عنهما فيقول { **يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك الله يحفظك الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله.....}** [رواه الترمذي]

وعن جُنْدُب، قَالَ: { **كُنَّا مَعَ نَبِيِّنَا (ﷺ) فَنِيَانًا حَزَّازِرَةً، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَتَزَادَ بِهِ إِيْمَانًا، فَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ تَعْلَمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ.** }

2- الدعوة إلى الله تعالى أولى من الاهتمام بالأم الدنيا:

يظهر ذلك من خلال قوله تعالى على لسان يوسف : { **يُصْحَبِي السِّجْنِ عَارَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَجْدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ أَحْكَمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40)** } [يوسف].

فالسجن لم يمنع يوسف عليه السلام من الدعوة إلى الله وممارستها، إذ اغتتم فرصة سؤال صاحبيه له في السجن عن رؤياهما وتأويلها لهما ليؤكد على وحدانية الله

تعالى ، بل إن خوف الله تعالى جعله يختار السجن على أن يسقط في براثن الفاحشة، وهذا في غاية مقامات الكمال، أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيده، وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة، ويمتنع من ذلك.

3- الوحدة أولى من الفرقة:

دل على ذلك قوله تعالى: { قَالَ يَهُرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنَّهُ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) } [طه]

لقد اعتبر نبي الله هارون الاختلاف أكبر خطراً وأشد ضرراً من عبادة الأوثان، فحين صنع السامري لقومه عجلاً من الذهب وقال لهم: "هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى" وعظه هارون بحكمة وبقي ينتظر أخاه موسى ، ولما وصل موسى عليه السلام ورأى القوم عاكفين على العجل وجه أشد اللوم إلى أخيه، فما كان عذر أخيه إلا أن قال: "قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي" .

فجعل من خوف الفرقة والاختلاف بين قومه عذراً له في عدم التشديد في الإنكار ومقاومة الانفصال عنهم حين لا ينعف الإنكار.

4- المصالح الأخروية أولى من المصالح الدنيوية:

يتجلى ذلك في قوله تعالى على لسان سحرة فرعون: { قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) } [طه]

فسحرة فرعون كانوا في بداية الأمر أعداء لموسى عليه السلام، لكنهم ما إن رأوا معجزاته حتى عجلوا بالإيمان والالتحاق بركبه، وأمنوا إيماناً رسخا رسوخ الجبال، جعلهم يقدمون جوار الله تعالى على جوار فرعون، ويقدمون الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، فأبى بصيرة هذه التي استنارت بالإيمان وأعطت الأولوية للموت على الإيمان ودخول الجنان على قرب فرعون وخسارة الآخرة ودخول النيران

5- الفرائض قبل السنن والنوافل:

يقول النبي (ﷺ): "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها..": ومن الخطأ الذي يقع فيه بعض الناس الاشتغال بالسنن والتطوعات من الصلاة والصيام والحج عن الفرائض. ولقد رأينا النبي صلى الله عليه وسلم ينهي المرأة أن تصوم تطوعاً، وزوجها شاهداً حاضر غير مسافر إلا بإذنه، لأن حقه عليها أوجب من صيام النافلة.

وأيضاً نرى الرجل يحج حجة الإسلام ثم نجده يحج ويعتمر مرات عديدة ويتكبد الأموال والوقت والجهد، وهناك مسلمون يموتون من الجوع - حقيقة لا مجازاً في بعض الأقطار كالصومال، وآخرون يتعرضون للإبادة الجماعية، والتصفية الجسدية، كما رأينا في فلسطين، وسوريا وغيرها - وهم في حاجة إلى أي معونة من إخوانهم، لإطعام الجائع، وكسوة العاري، ومداواة المريض، وإيواء المشرد، وكفالة اليتيم، ورعاية الشيخ والأرملة والمعوق، أو لشراء السلاح الضروري للدفاع عن النفس، وهناك شباب وفتيات يحتاجون للزواج فلا يستطيعون الزواج لعدم وجود المؤنة.

ولو فقهوا دينهم، وعرفوا شيئاً من فقه الأولويات، لقدموا إنقاذ إخوانهم المسلمين على استمتاعهم الروحي بالحج والعمرة، ولو تدبروا لعلموا أن الاستمتاع بإنقاذ المسلمين أعظم وأعظم من استمتاع عارض قد يشوبه بعض التظاهر أو الرياء، وصاحبه لا يشعر.

لقد قرر فقهاء الإسلام: أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة.

وقد أوصي سيدنا أبو بكر الصديق عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما وصية جامعة جاء فيها: إني موصيك بوصية إن حفظتها: إن الله حقا بالنهار لا يقبله بالليل، والله في الليل حق لا يقبله في النهار، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة .
عبدالله ابن المبارك يقدم اليتامى علي حجته :كان عبد الله بن المبارك رضي الله عنه - يحج عاماً ويعزو في سبيل الله عاماً آخر، وفي العام الذي أراد فيه الحج.. خرج ليلة ليودع أصحابه قبل سفره.. وفي الطريق وجد منظرًا ارتعدت له أوصاله. واهتزت له أعصابه!!.. وجد سيدة في الظلام تنحني على كومة أوساخ وتلتقط منها دجاجة ميتة.. تضعها تحت ذراعها.. وتنتطق في الخفاء..

فنادى عليها وقال لها: ماذا تفعلين يا أمة الله؟ فقالت له: يا عبد الله - اترك الخلق للخالق فله تعالى في خلقه شؤون، فقال لها ابن المبارك: ناشدتك الله أن تخبريني بأمرك.. فقالت المرأة له: أما وقد أقسمت عليّ بالله.. فلاخبرتك، فأجابته دموعها قبل كلماتها: إن الله قد أحل لنا الميتة.. أنا أرملة فقيرة وأم لأربع بنات غيب راعيهم الموت واشتدت بنا الحال ونفذ مني المال وطرقت أبواب الناس فلم أجد للناس قلوباً رحيمة فخرجت ألتمس عشاء لبناتي اللاتي أحرق لهيب الجوع أكبادهن فرزقني الله هذه الميتة.. أمجدلني أنت فيها؟ وهنا تفيض عينا ابن المبارك من الدمع وقال لها: خذي هذه الأمانة وأعطها المال كله الذي كان ينوي به الحج.. وأخذتها أم اليتامى، ورجعت شاكراً إلى بناتها. وعاد ابن المبارك إلى بيته، وخرج الحجاج من بلده فأدأ فريضة الحج، ثم عادوا، وكلهم شكر لعبد الله ابن المبارك على الخدمات التي

قدمها لهم في الحج. يقولون: رحمك الله يا ابن المبارك ما جلسنا مجلسا إلا أعطيتنا مما أعطاك الله من العلم ولا رأينا خيرا منك في تعبدك لربك في الحج هذا العام. فعجب ابن المبارك من قولهم، واحتار في أمره وأمرهم، فهو لم يفارق البلد، ولكنه لا يريد أن يفصح عن سره، وفي المنام يرى رجلا يشرق النور من وجهه يقول له: السلام عليك يا عبدالله ألسنت تدري من أنا؟

أنا محمد رسول الله أنا حبيبك في الدنيا وشفيعك في الآخرة جزاك الله عن أمتي خيرا... يا عبد الله بن المبارك، لقد أكرمك الله كما أكرمت أم اليتامى.. وسترك كما سترت اليتامى، إن الله - سبحانه وتعالى - خلق ملكاً على صورتك.. كان ينتقل مع أهل بلدتك في مناسك الحج..

وإن الله تعالى كتب لكل حاج ثواب حجة وكتب لك أنت ثواب سبعين حجة.

عبدالله ابن عباس يقدم قضاء حاجة أخيه المسلم علي اعتكافه في المسجد النبوي:-
عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله (ﷺ) ، فاتاه رجل فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكثبا حزينا؟! قال:
نعم يا ابن عم رسول الله لفلان علي حق ولاء، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك، فقال: إن أحببت قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟؟!! قال: لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر (ﷺ) والعهد به قريب فدمعت عيناه وهو يقول: (من مشى في

حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين)

رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي واللفظ له والحاكم مختصرا وقال صحيح الإسناد.

لم يترك ابن عباس رضي الله عنه اعتكافه في أي مسجد، بل ترك الاعتكاف في مسجد رسول الله (ﷺ) ، مع ما له من أجر مضاعف وعظيم، ولم يتركه لينفذ مسلما من الموت جوعا أو بردا أو خوفا وذعرا، بل خرج ليكلم له دأته بالتأجيل والنظرة إلى الميسرة فحسب، وهي حاجة ربما يستصغرها بعض المسلمين اليوم، إلا أنها كانت كافية لإخراج ابن عم الرسول (ﷺ) من معتكفه وعبادته. أفلا تستحق أيام المسلمين المنكوبين اليوم، بأن نخرج من شح النفوس وهوها إلى كرمها وتقواها، ومن قسوة القلوب وغفلتها إلى لينها وذكرها لخالقها ومولاها، ومن إغلال الأيدي إلى الأعناق إلى بسطها بعض البسط في الإنفاق.

6- أولوية حقوق العباد على حق الله المجرّد:

لقد رأينا الشرع الحنيف يؤكد في كثير من أحكامه تعظيم ما يتعلق بحقوق العباد،

ففرض العين، المتعلق بحق الله تعالى وحده يمكن التسامح فيه، بخلاف فرض العين المتعلق بحقوق العباد ، فقد قال العلماء: إن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة، وحقوق العباد مبنية على المشاحة.

ولهذا إذا كان الحج مثلا واجبا، وأداء الدين واجبا، فإن أداء الدين مقدم. فلا يجوز للمسلم أن يقدم على الحج حتى يؤدي دينه ، إلا إذا استأذن من صاحب الدين، أو كان الدين مؤجلا، وهو واثق من قدرته على الوفاء به. ولأهمية حقوق العباد هنا ، وبخاصة الحقوق المالية ، صح الحديث أن الشهادة في سبيل الله ، وهي أرقى ما يطلبه المسلم للتقرب إلى ربه لا تسقط عنه الدين.

ففي الصحيح: **"يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين"**. وفيه: أن رجلا قال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله (ﷺ): **"نعم، إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر مقبل غير مدبر"**، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"كيف قلت؟" فأعاد الرجل سؤاله، وأعاد الرسول الكريم جوابه وزاد عليه: "إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك"**.

وأعجب من ذلك قوله (ﷺ): **"سبحان الله! ماذا أنزل من التشديد في الدين؟! والذي نفسي بيده، لو أن رجلا قتل في سبيل الله، ثم أحيي، ثم قتل، ثم أحيي، ثم قتل، ثم عليه دين، ما دخل الجنة حتى يقضى دينه"**.

ومثل هذا من غل من الغنيمة، وهو في سبيل الله، أي في الجهاد (أي أخذ من الغنيمة لنفسه وهي من حق الجيش كله) فإن مد يده إلى مال الغنيمة قبل أن يقسم، ولو كان شيئا تافها، يحرمه فضل الجهاد، وأجر المجاهد، وإذا قتل يحرمه شرف الشهادة، وأجر الشهيد.

كان على ثقل رسول الله (ﷺ) (والثقل: الغنيمة) رجل يقال له: "كركرة" فمات، فقال رسول الله (ﷺ): **"هو في النار"**، فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلها وتوفى رجل من الصحابة في خيبر، فذكروا ذلك لرسول الله (ﷺ) ، فقال: **"صلوا على صاحبكم"**، فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال: **"إن صاحبكم غل في سبيل الله" (أي وهو في الجهاد) ففتنشوا متاعه فوجدوا فيه خرزًا من خرز يهود لا يساوي درهمين. من أجل درهمين أعرض النبي (ﷺ) عن الصلاة عليه، ليكون في ذلك أبلغ زاجر عن الطمع في المال العام، قل أو كثير.**

وعن ابن عباس قال: حدثني عمر قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي (ﷺ) ، فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد، حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله (ﷺ): **"كلا، إني رأيت في النار، في بردة غلها أو في عباءة غلها"** ، ثم قال: **"يا ابن الخطاب، اذهب فناد في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا**

المؤمنون ."

وكذلك نري أيضا أن النبي (ﷺ) يشدد في حق الجار ويرهب من أذي الجار ويبين أنه أولي من الإكثار من النوافل:

فعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله إن فلانة تصلي بالليل وتصوم بالنهار وفي لسانها شيء، تؤذي جيرانها، سليطة اللسان، قال: **"لا خير فيها، هي في النار"**، وقيل له: إن فلانة تصلي المكتوبة و تصوم رمضان و تتصدق بالأثوار من الأقط (أي: اللبن المجفف) و ليس لها شيء غيره و لا تؤذي أحدا قال: **"هي في الجنة.."**

[سنده صحيح رواه أحمد وابن حبان]

ففيه أن أذى الجار محبط للعمل و أنه لا خير في المؤذي لجيرانه و فيه أنه اقتصاد في العمل مع عدم الأذية أفضل بكثير من الإكثار بالنوافل مع أذية الجيران.

وقال أيضا:- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: **"أتدرون ما المفلس؟" قالوا: "المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: "إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار"** [رواه مسلم].

علام تدل هذه الأحاديث؟ إنها تدل على تعظيم حقوق الخلق، ولا سيما ما يتعلق بالمال، سواء أكان خاصا أم عاما، فلا يجوز أخذه من غير حله، وأكله بالباطل، وإن كان تافها، لأن المهم هو المبدأ، ومن اجتراً على أخذ القليل، يوشك أن يجترئ على الكثير، والصغيرة تجر إلى الكبيرة، ومعظم النار من مستصغر الشرر.

7- تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة :

اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون مصالح العباد عامة ومصالح خاصة. مصلحة يعود نفعها على الفرد ومصلحة يعود نفعها على المجتمع والعباد وقد بنى الإسلام تشريعاته على تأمين المصالح الخاصة والعامة.

فالإسلام يدور مع المصلحة والنفع للعباد فحيثما وجدت المصلحة وجد الإسلام قال تعالى : **{ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ (17) }** [الرعد] .

فالحق هو عين المنفعة وعين المصلحة وقد فهم الصحابة هذا المعنى وبنوا عليه رسالتهم ولقد أظهرها ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم مبينا له معالم هذه الرسالة العظيمة وما تقتضيه من حمل المصلحة للعباد (نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة)

وإذا ما تعارضت المصلحة الخاصة مع مصلحة العباد فإن الإسلام يرغب في تقديم المصلحة العامة. وإذا نظرنا إلى التشريعات كلها وجدناها تخدم هذا المعنى فالجهاد والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها كلها تصب في المصلحة العامة، فالرجل الذي يذهب إلى الجهاد تاركاً كل أموره الخاصة من بيت وأولاد وتجارة أو وظيفة أو غيرها وذهب ربما تزهق روحه في سبيل الله تجد أن الدافع من وراء ذلك هي المصلحة العامة وحينما تعرض الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة لمحنته المشهورة جاءه الإمام الشعبي وقال له: يا أحمد إن الله قد أعطاك الرخصة فخذ بها {إِلَّا مَنْ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}.

فقال له الإمام أحمد انظر يا شعبي من خلف هذا الباب فنظر الشعبي فرأى آلاف الطلاب يحملون الدواة والقلم والقرطاس ينتظرون قول الإمام أحمد لينشروه في الآفاق وصمّم الإمام على موقفه وكان يستطيع أن يحظى بالنعيم والخير والرضى إلا أنه أثر المصلحة العامة للعباد على مصلحته الخاصة حتى لو كان فيها من النقص ما فيها.

إن تغليب المصلحة العامة على الخاصة أمر يرغب فيه الإسلام وقد كان هذا هو سلوك الصحابة والتابعين والعلماء والمخلصين من هذه الأمة، ولولا تغليبهم للمصلحة العامة ما ألفوا مؤلفاتهم ولا سهروا الليالي ولا أمضوا حياتهم كلها جهاد وحركة لنشر الدعوة والقيم والمبادئ والأخلاق ولما كان أغلبهم يموت ويدفن خارج أرضه ووطنه بعيداً عن أزواجهم وذرياتهم وما كان ذلك كله إلا من أجل مصلحة العباد.

وهذه بعض النماذج العظيمة لأناس قدموا مصلحة دينهم ووطنهم علي راحتهم ورغباتهم.

هذا عثمان رضي الله عنه في عام الرمادة وقد اشتد بالمسلمين الفقر والجوع جاءت تجارته من الشام ألف بعير محملة بالتمر والزيت والزبيب فجاءه تجار المدينة وقالوا له تبعنا ونزيدك درهم درهمين؟ فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لهم لقد بعثنا بأكثر من هذا. فقالوا نزيدك درهم بخمسة؟ فقال لهم عثمان رضي الله عنه لقد زادني غيركم درهم عشرة: فقالوا له فمن الذي زادك؟ وليس في المدينة تجار غيرنا؟ فقال لهم عثمان رضي الله عنه لقد بعثنا لله ولرسوله فهي لفقراء المسلمين..

الله أكبر...ماذا لو لم يكن يحمل بين جوانحه ضمير المؤمن الحي لكانت هذه فرصة لا تعوض ليربح أموالاً طائلة ولو كانت على حساب البطون الجائعة والأجساد العارية وأهات المرضى والثكالي وهموم أصحاب الحاجات... ولكنه قدم حاجة

المجتمع العامة علي حاجته الخاصة.
وكذلك فعل أبو بكر رضي الله عنه فقد تصدق بكل ماله في تجهيز جيش العسرة..
وعندما يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذا تركت لعيالك؟ فيقول: تركت
لهم الله ورسوله. وهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه الفتى الشاب الثري المدلل
يضحي بكل شيء ويصبح آية من آيات الجهاد والتضحية للشباب المسلم في كل
زمان.. يضحي برغباته كشاب في كمال فتوته من أجل مصلحة دعوته ورفعته
وطنه فالمسلم الحق هو من باع لله نفسه وماله ووقته ووطنه فليس له فيها شيء،
وإنما هي وقف على رفع راية دينه ووطنه.
8 - الاهتمام بالمضمون أكثر من الشكل:-

فالإنسان مثلاً لا يقاس بطول قامته، أو قوة عضلاته، أو ضخامة جسمه، أو جمال
صورته، فهذه كلها خارجة عن جوهره وحقيقة إنسانيته، فما الجسم - في النهاية -
إلا غلاف الإنسان ومطيته، أما حقيقة الإنسان فما هو إلا العقل والقلب. وقد وصف
الله تعالى المنافقين بقوله { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ (4) } [المنافقون]
كما وصف عاداً على لسان نبيه هود بقوله { وَرَأَيْتُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً (69) }
[الأعراف]،

ولكن هذه البسطة في الخلق جعلتهم يغترون ويستكبرون كما قال تعالى { فَأَمَّا عَادٌ
فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً (15) } [فصلت].
وفي الحديث الصحيح: { إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، فلا يزن عند
الله جناح بعوضة. اقرأوا إن شئتم } { فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) }
[الكهف]

وصعد ابن مسعود يوماً شجرة، فظهرت ساقاه، وكانتا دقيقتين نحيلتين، فضحك
بعض الصحابة من ذلك، فقال النبي (ﷺ): "أتضحكون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي
بيده، لهما أثقل في الميزان من جبل أحد"
ليس المهم إذن ضخامة الجسم، إذا لم يكن يسكنه عقل ذكي، وفؤاد نقي، وقديماً قال
العرب: "ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما الدخل".
اعتبر الإسلام ضخامة الجسم وقوته ليست هي مقياس الرجولة، ولا معيار الفضل
في الإنسان، فكذلك جمال الوجه وحسن الصورة.
وفي الحديث: "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى
قلوبكم".

لذلك أمر الإسلام في بناء الأسرة المسلمة اختيار الزوج الصالح والزوجة الصالحة
واعتبر مخالفة هذا الأمر يؤدي إلي فتنة في الأرض وفساد كبير. فقال (ﷺ) { إذا

جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير }.

وقال (ﷺ) { تتكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ودينها؛ فعليك بذات الدين تربت يداك }.

ولقد بين النبي (ﷺ) ميزان الرجال، روي البخاري من حديث سهل بن سعد قال: مرَّ رجل علينا ونحن جلوس عند النبي (ﷺ) ، فقال لرجل عندنا: ماذا تقول في هذا الرجل؟! قال: يا رسول الله هذا من أشرف أهل المدينة ، هذا من أحسنهم حسباً ونسباً ، هذا من أكثرهم مالا، هذا حري، إن خطب يخطب ، وإن تكلم يُسمع ، وإن شفع يُشفع ، فسكت النبي (ﷺ) ثم مرَّ رجل آخر فقال للرجل نفسه: فماذا تقول لهذا الرجل؟! قال يا رسول الله: هذا من فقراء الأنصار، هذا لا حسب ولا نسب، هذا حري، إن خطب ما يُخطب، وإن تكلم ما يُسمع، وإن شفع ما يُشفع ، فقال الصادق المصدوق: (هذا يعني الفقير اللي لا حسب ولا نسب هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا)

هذا الذي في نظرك الذي إذا تكلم ما يسمع، وإذا شفع ما يشفع، وإذا خطب ما يخطب.. (هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا ..

قال تعالى { أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28) } [ص]

ولقد وضع أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب قانونا لمعرفة الرجال حينما سأل عن رجل فقال رجل قال: لا بأس به يا أمير المؤمنين. قال: هل صحبته في سفر؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: هل جرت بينك وبينه خصومة قط؟ قال: لا يا أمير المؤمنين قال: فهل انتمته على درهم أو دينار قط؟ قال: لا يا أمير المؤمنين قال: لا علم لك بالرجل، إنما رأيت رجلاً يضع رأسه في المسجد ويرفعه!! قال اذهب فأنت لا تعرفه.

9 - درء المفساد مقدم علي جلب المنافع:-

هذه قاعدة عظيمة من قواعد الفقه الإسلامي والأدلة عليها قول الله تعالى { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ (108) } [الأنعام].
فإنه جل وعلا نهى الصحابة الكرام أن يسبوا الآلهة أو يسفهوا أحلام من يعبد هذه الآلهة، مع أن سب الآلهة الباطلة ممدوح، بل محثوث عليه، وتسفيه أحلام من يفعل ذلك ممدوح، بل محثوث عليه، بل يثاب المرء إذا فعل ذلك، لكن منع الله جل في علاه هذه المصلحة لدرء مفسدة أعظم منها، أو لتعارض مفسدة مع هذه المصلحة، ألا وهي سب الله جل في علاه، فإن من أعظم المفساد أن يسب الله جل

في علاه. ولذلك بين لنا الله جل في علاه قاعدة شرعية لا بد أن نسير عليها طيلة تعبدنا لله جل في علاه، ألا وهي: دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة، فإن كان في سب الآلهة مصلحة فإن دفع المفسدة أولى. ومن الأدلة التي تثبت ذلك: حديث النبي (ﷺ) عموماً: **{ إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا }**

ففي هذا الحديث دلالة على هذه القاعدة العظيمة، ووجه الدلالة: أن أمر النبي (ﷺ) فيه منفعة، فسهل فيه وعلقه بالاستطاعة، وأمر بامتنال النهي مطلقاً لأنه مفسدة تجتنب، فالحديث يبين أن الشرع يهتم بالانتهاء عن المنهيات، بدفع المفسد كلها. فالمنافع فيها التسهيل، قال (ﷺ): **{ فأتوا منه ما استطعتم }**، أما في المنهيات وفي المفسد قال: **{ فانتهوا }**.

وفي الحديث الصحيح أن النبي (ﷺ) دخل على عائشة رضي الله عنه وأرضاهما وقال لها: **{ لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة، ولبنيتها على قواعد إبراهيم، ولجعلت لها باباً منه يدخل الناس، وباباً يخرجون منه }**، ولم يفعل ذلك النبي (ﷺ).

فالمصلحة هنا: أن تكون الكعبة كما بنيت على عهد إبراهيم. والمصلحة الثانية: أنه لا يفرق بين الناس، حيث إن أهل مكة كانوا قد جعلوا مصعداً يصعد عليه الشرفاء ليدخلوا الكعبة، لكن الضعفاء أو الفقراء لا يدخلون. فكان النبي (ﷺ) يريد مصلحة أعظم من ذلك ألا وهي عدم التفريق؛ لأن رب أشعث أغبر عند الله أفضل من آلاف من هؤلاء المعظمين، فقال: **{ ولجعلت لها باباً يدخل منه الناس }**،

والمصلحة العظمى: باب يخرجون منه خشية التزامهم، فهذه مصلحة عظيمة جداً أن تبنى الكعبة على قواعد إبراهيم، لكن نازعت هذه المصلحة مفسدة فامتنع النبي (ﷺ)، وهذا هو الشاهد، والمفسدة هي: حدوث الفتنة وهو ارتدادهم عن الإسلام، فإن أهل مكة كانوا يعظمون الكعبة، ويعظمون الشعائر، فإذا رأوا النبي (ﷺ) يهدم الكعبة سيقولون: النبي (ﷺ) لا يعظم الكعبة فتحدث الفتنة بينهم، فيرتدون عن الإسلام؛ لأنهم لا يفقهون أن النبي (ﷺ) يبين أن هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم مصلحة كبيرة جداً، بل سيقولون: لم يعظم شعائر الله جل في علاه، كيف يأمرنا أن نعظم شعائر الله وهو لم يعظم شعائر الله حين هدم الكعبة؟

العصر الرابع: التوازن في حياة المسلم:-

إن ترتيب الأولويات يجعل حياة المسلم متوازنة، فقد وازن الإسلام بين المطالب كلها في اتساق لا طغيان فيه لجانب على جانب؛ بل أكد على ذلك بالنهي عن الغلو

والإفراط، كما نهى عن التفريط والإهمال، وأمر بالتوسط والاعتدال في جميع الأحوال، ولم تأت الشريعة إلا بتنظيم تحقيق تلك المطالب، وبيان حدودها التي لا تتصادم مع فطرة الإنسان ووظيفته التي خلق من أجلها، ألا وهي عبادة الله وعمارته الأرض بالنافع والصالح، فأباحت الشريعة كل شيء فيه منفعة راجحة للإنسان، ونهت عن كل شيء فيه مفسدة ومضرة على حياة الإنسان أو عقله أو ماله أو جسده.

وهذه بعض نصوص الوحي الذي نزل على رسول الله (ﷺ) قال تعالى: { **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** } [الجاثية]؛

فلم يخلق الله تعالى هذا الكون ل يبقى هملاً غير مستثمر، أو لينعزل عنه الخلق، والتعبير بـ { **سَخَّرَ** } فيه معنى التذليل والتسهيل لاستكشاف هذا الكون، والاستفادة من مكنوناته وكنوزه.

وقال الله تعالى { **وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** } [القصص].

وقال تعالى { **رَجَالٌ لَا تُلْهِهُمُ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** } (37) [النور]،

فهم مع تجارتهم لم يهملوا الجانب الروحي والتعبدية والخالقي الذي يدفع إليه الإشفاق من الحساب بين يدي الله في الآخرة، فلنتصوّر كيف يكون سلوك مثل هؤلاء التجار يمثل هذه العقيدة وهذه الأخلاق، ثم لنتصوّر كيف تكون الحياة فيه أناس كهؤلاء في مجالات أخرى من مجالات الحياة!

وقد أثبت التاريخ أن أمثال هؤلاء التجار المسلمين كانوا سبباً في دخول الإسلام إلى بلدان شاسعة المسافات، كإندونيسيا والسودان وغيرهما، دون أن تكون هناك جيوش فاتحة كما يزعم بعض الذين لم يقرؤوا التاريخ جيداً.

وقال تعالى { **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ** } (27) [الحديد]

وقد ضرب نبي الإسلام محمد (ﷺ) أروع الأمثلة العملية والتوجيهية في التوازن الروحي والمادي، حتى يصل إلى درجة الغضب الشديد ممن يخالف الفطرة البشرية وسنة الأنبياء والمرسلين، فقد بلغه مرةً أن ناساً حلفوا مبالغةً في التعبد لله بالامتناع عن النوم وعن الزواج وعن الأكل والشرب؛ فكان موقفه منهم حاسماً؛ تحقيقاً لمنهج التوازن الذي بُعث به؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاث رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي (ﷺ) يسألون عن عبادة النبي (ﷺ) فلما أُخبروا؛

كانهم تقلُّوها - أي: عدُّوها قليلة! - فقالوا: أين نحن من النبي (ﷺ)؟ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر! قال أحدهم: أمّا أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله (ﷺ) فقال: **{ أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأنقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني! }**؛ [رواه البخاري ومسلم]

العنصر الخامس: أثر إهمال الأولويات:

إنّ فقدان فقه الأولويات يُحدث خللاً في حياة الفرد والمجتمع، ويوقع الكثير في اضطراب، فتضيع الأوقات، وتهدر الطاقات هباءً، ويُحدث ذلك أثراً سلبياً، ويؤدي غياب الأولويات إلى صراع ونزاع بين أفراد الأمة وجماعاتها وجعل الولاء والبراء على أساس هذا الخلاف، كالاختلاف على صلاة التراويح، ثمان أم عشرين؟

والسجود على الركبتين أم اليدين أولاً؟

ووضع اليدين أثناء القيام، وتحريك الأصبع في التشهد، وكلها سنن! واجتماع كلمة المسلمين واجب، والواجب أعلى من السنة. فتضعف الأمة ويذهب ريحها ويتسلط عليها الأعداء، فيستبيحون دَمَها ومالها وعرضها كما هو الحال الآن، وهذا ما حدّر الله عزّ وجلّ منه، فقال: **{ وَلَا تَنَازَعُوا فِتْنَةً وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) }** [الأنفال].

إنّ إهمال ترتيب الأولويات قد يؤدي إلى حدوث اضطراب في فهم الشريعة وأحكامها، فقد يقدّم المندوب على الفرض، ويقدم المفضول على الفاضل، وتترك المكروهات قبل المحرّمات.

تكبير الخلاف الصغير، فيتحول من خلاف فقهي سانع إلى شقاق وقطيعة ونزال. وإهمال ترتيب الأولويات قد يؤدي إلى الاهتمام بالعمل الأقلّ أجراً، وترك العمل الأكثر أجراً.

الخاتمة ..

على المسلم مراعاة الأولويات في حياته حتى يستقر الأمر، وتنهض الأمة، وعلينا أن نراجع اهتماماتنا ونصح أوضاعنا ونضع كل شيء في موضعه لا نؤخر ما حقه التقديم ولا نقدم ما حقه التأخير ولا نعظم ما حقه التصغير ولا نصغر ما حقه التعظيم حتي نسعد في الدنيا وننجز ما هو مطلوب منا فنفوز في الآخرة. وأسأل الله العظيم أن يوفقنا لما فيه رضاه إنه ولي ذلك ومولاه.

انتهت بفضل الله تعالى